**جامعة عبد الرحمان ميرة قطب ابوداو بجاية الأستاذة عمامـوش كهيــنة**

**كــــــــــــــــلية الآداب واللــــغات المستوى : السنة 2 أدب**

**قسم اللغة و الأدب العــربي المجمــوعة: الثانية**

**مقياس**  **الحــــداثة في الأدب الفــوج**: 8

1. **مفهوم الحداثة عند الغرب والعرب:**

تعدّ الحداثة من أهم المصطلحات التي أثارت جدلا واسعا بالنسبة للفكر العربي والنقد الأدبي نظرا لتعدد مفاهيمها وغزارة تعريفاتها، وتعتبر الحداثة من المصطلحات القليلة التي استوعبتها أغلب العلوم الإنسانية، فهي مصطلح شامل يعبر عن رغبة الكائن البشري في استكشاف المجاهيل والغوص في المستقبل البعيد وركوب التطور المستمر الذي لا تحده نهاية. فالصعوبة تكمن في ضبط مفهوم محدد للحداثة، ولا يمكن اختصارها في مذهب واحد أو في مدرسة بعينها وذلك باختلاف النقاد ومنظري الأدب.

قبل أن نخوض في مفهوم الحداثة الاصطلاحي، نرى من المفيد أن نعرج على مضمونها اللغوي الشائع في أغلب المعاجم والقواميس، فالحداثة مصدر من الفعل حدَث، وتعني نقيض القديم والحداثة أول الأمر وابتداؤه، وهي الشباب وأول العمر.

أما عن الجانب الاصطلاحي للحداثةmodernisme فتعرف على أنها " ثورة على الفكر الذي يجعل الإنسان جزءا منفعلا مع الطبيعة ليكون هو الفاعل والمحرك والمنشط الثقافي والحضاري". ويرتبط مفهوم الحداثة عند "فلوبير "flaubert " بالزمن وفعل الكتابة فيقول:"الحداثة هي التعصب للحاضر ضد الماضي" ويقصد بذلك تمجيد للحاضر وانفتاح على الآتي، وقطيعة مع الماضي التي تعتبر من أهم خصائص الحداثة في الأدب، وذلك لرغبة المبدعين، وإنما في كتابة كل ما هو جديد وغير مألوف والمعهود من الأفكار والقيم، وفي نفس السياق يعرف "جون بروديار" الحداثة بأنها "محاولة للتجديد والإبداع وتجاوز التقليد والتخلف كما إنها تعكس بأكملها التحول الهائل الذي غزا مجال الفكر والتقنية والمعرفة بصفة عامة، فهي ثورة على الواقع بكل ما فيه من ضوابط"، وبالمختصر المفيد فإن الحداثة تتعارض مع التقليد والتراث والأصالة ليمحوا منها ثورة تسعى إلى التغيير والتجديد والتحديث المستمر يتجاوز القديم وإحداث قطيعته.

فالحداثة تدعو إلى إعادة النظر في كثير من الأشياء والتحرر من القيود والتجاوز لكل مألوف تقترن بالزمان ومعطياته، فهي تشيد إلى عصر جديد يقترن بالتطور والتقدم وتحرر الإنسان، فالحداثة تدعو إلى التغيير المستمر في كل شيء لأن لاشيء ثابت في الحياة.

أ**- الحداثة عند الغرب :**

كان العالم الغربي يعيش في فترة ظلام دامس عرفت بالقرون الوسطى والعصور الظلامية، أين عمّ الجهل نتيجة سيطرة رجال الكنيسة، وظهر ذلك جليا منذ ما عرف بعصر النهضة في القرن الخامس عشر للميلادي عندما انسلخ المجتمع الغربي عن الكنيسة وثار على سلطتها الروحية التي كان بالنسبة لهم كابوسا مخيفا، فالكنيسة كانت المفسر الوحيد للدين والمعرفة تتدخل في صياغة كل شيء وقد تعدت سلطة الكنيسة المجتمع، فهي سلطة على الملوك والأمراء الذين وافقوا على هذا التسليط نتيجة لما تفرضه الكنيسة، فحكهم للمجتمع مستمد من السلطة الإلهية....لذا فكانت للحداثة صورة تجلى من خلالها حلم العالم الغربي في البحث عن عالم مثالي، إذ قطع الغرب للحداثة صلتها بالدين والكنيسة وتمردت عليه.

إنّ تيار الحداثة في العالم الغربي ظهر نتيجة للتحولات الفكرية التي هي بمثابة القاعدة الأساسية التي انطلق منها الفكر الحداثي في فترة زمنية اتفق على تسميتها بعصر التنوير أو عصر الأنوار siècle des lumières والذي يمتد من القرن السابع عشر للميلاد إلى القرن الثامن عشر للميلاد، كان لظهور العلم والأفكار التنويرية أثر كبير في تخليص أوروبا من ظلامها وأول خطوة خطاها هؤلاء هو التخلص من السيطرة الإقطاعية والعمل على إثبات مبدأ العدل والمساواة فقد كان المجتمع آنذاك مقسما إلى طبقات، طبقة قاهرة وأخرى مقهورة، إلى أن أصبح العلم الراية الوحيدة التي استطاع الغرب من خلالها تجاوز الترهات والخرافات التي فرضتها الكنيسة، فحجبت من خلالها حقائق كثيرة أهمّها المكانة التي يحتلها الفرد في المجتمع وقيمته كذات عاقلة تنشد الحرية. ²يقول آرلوند : ... "إنّ حاجة الإنسان إلى الفكر والمعرفة ورغبته في الجمال وغريزته نحو المجتمع ... كلُّها تتطلب الإحساس بمثيرتها والإحساس بها وإشباعها" كلُّها كانت بواعث لدخول أوروبا عصر جديد عرف بالحداثة كإعلان عن نهاية الميتافيزيقا التفسير الماورائي وبداية عصر العلم والتجربة وإرادة الإنسان ككائن عاقل لا تحكمه الأساطير ولا إرادة الآلهة، وكل هذه التحولات مست عديد من الميادين كميدان الثقافة ومجال العمران البشري والاقتصادي وحتى السياسي، إلى أن بلغت هذه التحولات الشاملة ذروتها مع الثورة الصناعية في انجلترا والثورة الفرنسية.

* **أهم رواد الحداثة عند الغرب**: من بين أهم رواد الحداثة عند الغرب نذكر شرل بودلير، غوستاف فلوبير، مالا راميه، هنري لوفيفري، جان بودريار، رولان بارت، رومان جاكوبسون....

**ب- عند العرب** :

لقد مرت الأمة العربية والإسلامية فترة من الزمن ضعف فيها أمرها وتمزقت كلمتها، فهي بذلك على غرار الأمم أخرى إستهوتهم تجربة الحداثة الغربية وما حققته من ازدهار وتطور وقوة على مختلف مناحي الحياة إذ راح المفكرين العرب يحاولون النهوض بالأمة الإسلامية وتجاوز فترة الانحطاط، ويبدو أن البحث في نشأة الحداثة عند العرب وجذورها أوغل قدما من البحث عنه عند الغرب، فيرى النقاد أن الحداثة تعود إلى القرن السابع للهجرة حيث ترجع حيثيات الاتجاه الشعري الجديد عند شعراء عرب معروفين في العصر العباسي، ومن هؤلاء نذكر بشار بن برد، وابن هرمة، والعتابي، وأبو نواس، ومسلم بن الوليد، وأبو تمام، وابن المعتز والشريف الرضى وآخرون، وامتدت بعدها إلى طه حسين وجماعة الديوان و جماعة ابولو والمهجر، وذلك بعدما تأثروا بمشروع النهضة العربية الذي يؤرخ لها بحادث الاتصال بين الشرق والغرب عن طريق الاستعمار وبالذات في عهد محمد علي باشا في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي بمصر، باعتبارها التجربة التي يمكن أن تؤسس الدولة العربية الحديثة وتحرك التقدم والتحديث في المجتمعات العربية .

فحداثة العرب حداثة ارتبطت بالحياة الراهنة، فكانت استجابة لها، وهو ما قضي بموتها وهي في مهدها، فهي لم تنشأ نتيجة فكر معين أو فلسفة، بل كانت تجديدا اقتضاه عدم جدوى الوسائل التقليدية، لذا فحداثتنا اليوم بالنسبة للحداثة العربية هي حداثة تلقيناها من مجموعة من القيم التي يمثلها المجتمع الغربي عن طريق الذين عاشوا مع الحداثيين والثوريين والمفكرين الغربيين، وترجموا ما عندهم وطبقوه على واقعهم ونادوا بتحديث الأفكار والمبادئ، وبتغيير العقائد والشرائح كما فعل الغربيين.

ومع حلول عصر النهضة الأدبية تسللت الحداثة الغربية إلى تاريخ أدبنا العربي وفكرنا الفلسفي العقدي عبر الرحلات والنظم الاستعمارية والترجمات الأدبية رويدا رويدا، وقد وجدت الدعم والسند من دعاة التغيير والتجديد الفكري بداية من دعاة الإصلاح نحو جمال الدين الافغاني، محمد عبده، عبد الحميد بن باديس...، فكانت الثورات الفكرية التي قادها علماء الأمة العربية من مشرقها حتى مغربها بمثابة ثورة حقيقية لأجل التحرير الفكري والعقدي من جهة، والاستعماري من جهة ثانية وجدت لها في فكرنا وأدبنا العربي تربة خصبة، إذ ترعرع فيها عديد من المفكرين أمثال غالي شكري، وعلي احمد السعيد، خالدة سعيد من سورية، محمود درويش ....

* **أهم رواد الحداثة عند العرب**: ومن بين أهم رواد الحداثة عند العرب نذكر يوسف الخال، علي أحمد سعيد الملقب ادونيس، عبد العزيز المقالح من اليمن، محمد عابد الجابري، صلاح عبد الصبور، محمود الدرويش، خليل خاوي نصراني، عبد الله الغدامي، غالي شكري، مالك بن نبي من الجزائر....

1. **بيان الحداثة عند ادونيس:**

* **نبذة مختصرة عن أدونيس: علي أحمد سعيد إسبر** المعروف باسمه المستعار **أدونيس** هو الشاعر والناقد والمفكر السوري ولد سنة 1930 م بقرية "قصابين" بسوريا، معروف بحبه للشعر العربي، تبنى اسم أدونيس )تيمناً بأسطورة أدونيس الفينيقية( تزوج من الأديبة خالدة سعيد . ومن أهم أعماله الشعرية نذكر: قصائد أولى، أوراق في الريح، أغاني مهيار الدمشقي، وقت بين الرماد والورد. أما عن أهم دراساته نذكر: مقدمة للشعر العربي، زمن الشعر، الثابت والمتحول: بحث في الإبداع والإتباع عند العرب.
* **مظاهر الحداثة في شعر أدونيس:** إنّ مسألة التجديد الشعري، كانت الشغل الشاغل لأدونيس منذ انطلاقه في مسيرته الشعرية، وذلك من خلال قصيدته) البعث والرماد( عام 1957م، وقد تجلى بصور أكثر من خلال قصيدة ) أغاني مهيار الدمشقي( عام 1962م، لذلك يعد أدونيس في" طليعة الشعراء العرب، إذا لم نقل الرائد الأوّل، الذين طوّروا الشعر العربي المعاصر، من حيث الشكل واللغة والمضمون"، وعليه سنقف عند مظاهر التجديد في بناء القصيدة عند أدونيس من خلال مستويين اثنين هما: الشكل والمضمون.
* **أ( الشكل:** الشعر الجديد عند أدونيس يعني بالضرورة شكلا جديدا، لذلك نجده يقول" الشعر يكون إبداعا متجددا أي شكلا جديدا، أو لا يكون إلاّ سلسلة من قوالب والأنماط"، ومن أهم مظاهر التجديد الشعري عند أدونيس على مستوى الشكل نجد ما يلي:
* **التجديد في اللغة الانزياح اللغوّي:** حرّر أدونيس الكلمة وأعطاها الإمكانية لتحمل أكثر من معنى، وأراد أن يخرج من الخطاب الشعري المباشر وأن يتحدّث بلغة غير مباشرة) رمزية(، يقول أدونيس في شعره:

"**كَمْ قُلت: جئت بلا طقوس**

**ووهَبْتُ نَفسي للجُموح، لكلّ رَفض**

**كم قلت: أَخْرَقُ هذه اللغة الأمينة للأصول**

**أرجّ قاعدة الأصول".**

لقد أتيح لأدونيس من خلال" محاولاته العديدة تطويع اللغة إلى حدّ إخراجها من قوالبها العقلانية".

* **عشوائية هيكل القصيدة:**لا يعرف هيكل القصيدة أو النصّ الشعري عند أدونيس شكلا معينا أو هيكلا محدّدا،تقول زوجته خالدة سعيد": لا تستريح القصيدة عند أدونيس في شكل مستقر، فقصائده تاريخ من البحث والتجاوز وإعادة النار. " فقد يكتب ناحية اليمين حينا، ثمّ جزءا منها في الوسط حينا آخر، ثمّ تراه انتقل جهة اليسار، فلا نظام عنده في شكل الكتابة، فالخرقُ وعدم الالتزام هما النظام عند أدونيس، فهو القائل:

**" بابل جئنا**

**نبني مُلكا آخر، جئنا**

**نعلن أنّ الشعر يقينُ**

**والخرْقُ نظامُ".**

* **تجزيءُ القصيدة إلى مقاطع:** إنّ المتمعن لقصائد أدونيس يجدها تتسم بصفة المقطعية، إذ يكتفي بوضع الأرقام ليفصل بها بين أجزاء القصيدة الواحدة، وأحيانا يفصل بينها بترك بياض فقط، وهذه المقاطع لا تخضع لتساو معين في عدد الأسطر فيما بينها. وتعد قصيدة )أوراق في الريح( مثلا لتجزيء القصيدة عند أدونيس، إذ تتجزأ إلى تِسع وخمسين مقطعًا شعريًا، نذكر منها المقاطع الثلاثة الأولى:
* **1**
* **لأنّني أمشي**
* **أدركني نعشي**
* **2**
* **أسير في الدّرب التي تُوصلُ الله**
* **إلى الستائر المسدلة**
* **لعلني أقدر أن أُبدله**
* **3**
* **قال خطْوي وردّدت أبعادي:**
* **قد تكون الحياة أضيق من ثقب صغير في كومة من رماد".**
* **التكرار:** التكرار من السّمات التي تطبع شعر أدونيس، وليس له موضعٌ ثابت، فأحيانا يكون في بدايات أسطر القصيدة أو في نهايتها، كما يوظف أوجه عديدة منه ) كتكرار الحرف، الكلمة، الجملة، المقطع(، ومثال عن التكرار المقطعي، نجده في قصيدة ) الرياح المضيئة(، إذ يعيد المقطع الذي ابتدأ به القصيدة في ختامها في قوله:
* **"الرياحُ التي تطفئُ، الرياح المضيئه**
* **لم تزل خلفنا بطيئه".**

**- تقزيم حجم القصيدة:** المعروف عن القصيدة الشعرية الكلاسيكية القديمة، أنها تتكون من مجموعة أبيات شعرية، وتتألف من سبعة أبيات وما فوق، أما عند أدونيس، فقد أصبحت القصيدة تتكون من سطرين فقط أحيانا، كما هي عليه في قصيدة)سفَر( التي جاء فيها:

* **" مُسافرٌ دونما حراك**
* **يا شمس، من أين لي خُطاكِ؟".**

**- التخلي عن موسيقى الشعر القديم إيقاعا و وزنا :** لقد سعى أدونيس إلى استحداث موسيقى جديدة للقصيدة الحديثة، من خلال الاشتغال على الإيقاع الداخلي بدلا من الإيقاع الخارجي، فأضحى يتصرف بعدد التفعيلات كما يشاء، مخضعًا طول السطر للمعنى ومتوقفا حيث يريد دون قيد أو شرط، غير عابئ بالقافية أو الروي اللذين يعتبرهما عامل تعطيل.

**- الصّمت اللغوّي:** وهو التعبير بطرق أخرى عوضًا عن اللغة، ويظهر ذلك عند أدونيس في ثلاثة مستويات وهي:

* أ-النقاط الممتدّة: وقد تكون في أوّل السطر أو في نهايته.
* ب-الخطّ: ويأتي في شكل مطّة صغيرة في أوّل السطر الشعري، كما قد تأتي في آخره.
* ج-البياض: وهو بياض تام يأتي في أوّل السطر أو في نهايته.
* ويبدو أنّ أدونيس من خلال توظيفه الصّمت اللغوي يرغب في أن" يشرك القارئ معه في إنتاج دلالة النّص الغائبة المتمثلة بالصّمت".
* **ب( المضمون:** من أبرز مظاهر التجديد على مستوى المضمون عند أدونيس ما يلي:
* **- تغييب المعنى وتشتيت الدّلالة وخلق الإبهام:** لا يقف أدونيس عند حدود المعنى الظاهر للكلام، بل يمضي دومًا إلى معنى آخر، يُدعى )معنى المعنى(، وقد يُحدثُ هذا الانتقال تشويشًا للقارئ إبهامًا لديه، وهذا يُشير إلى أنّ أدونيس قد اعتمد في عمله الشعري على أهمّ مبادئ الحداثة، وهو" مبدأ لا يسمح إلاّ بتعدّد المعنى ولا نهائيته وإرجائه، وهذا يذكر بالقول بأنّ مظهر التشتيت في النصّ الشعري الحداثي، إّنما صدى لأفكار الحداثة وما بعد الحداثة ومقولاتها".
* **- تجلّي الصوفية:** ولع أدونيس بالصوفية، وأخذ يستخدمها في تنظيره وإبداعه، وما كتابه) الصوفية والسوريالية( إلاّ دليل على هذا وبرهان عليه، وتتمثل الصوفية كما يفهمها أدونيس في اللامقول واللامرئي واللامعروف، لأنّ عدم وجود نهاية للأشياء وعدم خضوعها للمحدودية والحصر هو ما يطمح إليه أدونيس، لينطلق نحو الاستمرار والكشف والاستشراف، لذلك " لم يجد أدونيس شائبة في مفهوم المعرفة المطلقة، ولكن استوحاه من الفكر الصوفي"، وقد استقى أدونيس من الصوفية أمورًا كثيرة، فأعجب بلغتها وعبّر بها، واستحسن صورها فحاكاها.
* **استحداث الصور:** لم يكتف أدونيس بما استوحاه من الصور الصوفية ومجازاتها، فقد راح يخلق صورا جديدةً، وينسب لنفسه ولأتباعه التميّز والأفضلية، ويُغيّبُ طريقة تصوير الشعراء التراثيين في قوله": لا يقدّم نتاجهم إلاّ صورة الصورة، أمّا نحن فنخلق صورة جديدة".
* **ابتكار الرموز وتوظيفها بكثرة:** إنّ المتمعن لشعر أدونيس يلاحظ كثرة الرموز التي يوظفها، " والرمز لديه هو الوجه الآخر للنص، أو هو النص اللامرئي، أو المحتمل، أو الخفي". فالرمز عنده بمثابة المنظار الذي نرى به ما وراء النص، ويعد أدونيس" رائد الترميز، فقد لغم نصوصه الشعرية بكَومَة من الرموز ذات دلالات متعدّدة".
* **بروز نزعة الحلم والاستشراف:** يجد أدونيس في الحلم أشياء عديدة تجعله يلوذ إليه ويستعين به، فيدرجه في عمله الإبداع، "ففي الحلم تتحطم الحدود المكانية والزمانية، وتصطدم الأشياء بعضها ببعض معبرة عن نفس الشاعر"، ويغلب على شعر أدونيس مفهوم الرؤيا التي يقابلها بالحلم، إذ هي البعد أو تجاوز لكلّ ما هو مادّي وواقعي، وهي عنصر أساسي من العناصر المنتجة لدلالة القصيدة الجديدة، أما الاستشراف فيقصد به النظرة المستقبلية، أي تجاوز ما هو كائن لبلوغ ما ينبغي أن يكون.

ولا شك أنّ مظاهر التجديد في شعر أدونيس ) شكلا ومضمونا( هي التي تعكس وتترجم مفهومه للحداثة في الأدب العربي.

**واجب منزلي**

**السند:**

.... من مظاهر التجديد في العصر الحديث والمعاصر ظهور تيارات أدبية متعددة انقسمت بين محافظ ومجدد، وكل هذه التيارات الأدبية نشأت بفعل التغيرات التي حدثت في الحياة العربية من الناحية السياسية والاجتماعية والفكرية....يقول أدونيس" وهكذا تولدت الحداثة تاريخيا من التفاعل والتصادم بين موقفين وعقليتين في مناخ تغير ونشأت ظروف وأوضاع جديدة،ومن هنا وصف عدد من مؤسسي الحداثة الشعرية بالخروج."

انطلاقا من السند ووفق ما اطلعت عليه حدد ما يلي:

1. مفهوم الحداثة مبينا الأسباب الجوهرية في ظهور الحداثة عند الغرب والعرب باختصار.
2. بيانات الحداثة عند أدونيس باختصار

**ملاحظة**: الإجابة تكون في حدود صفحة ونصف مع الاعتماد الكلي على الأسلوب الخاص لكل طالب وطالبة. ويؤخذ بعين الاعتبار في سلم التنقيط.

تسلم أوراق الإجابة إلى رئيس قسم اللغة والأدب العربي الأستاذ بن علي لونيس في مكتبه يوم الاثنين 12اكتوبر